

# سَيِّدِي حَمَر

ذكريات الشيخ محمد أبو طير

تحرير  
بلال محمد شالش



## **الفصل الخامس**

**قطوف من ذاكرة السجن الأول**



## قطوف من ذاكرة السجن الأول

### تخافون أن يتخطفكم الناس:

كانت أيامنا في سجن الرملة ملحمة وحرباً فكرية ساخنة ومقلقة، وحتى ونحن في الصلاة لا نأمن على أنفسنا، وكثيراً ما كنت أنتظر من يغدر بي وأنا في الصلاة، ويشهد الله أنها كانت حرباً ضروساً. وكان لنا الفوز فيها مع الأيام، ولقد عشنا هذه الأيام والأعصاب مشدودة، حتى وصل الحقد والكراهية إلى الأذى وإسالة الدماء، وحتى في الصلاة لا تأمن على نفسك من الأذى، وقد فعلها أبو علي شاهين بحق المجاهد عمر جعارة من نابلس، الذي كسرت رجله وهو في الصلاة، وصدق الله العظيم: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبِضْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>35</sup>. هموم كثيرة، وإدارة السجن علينا، وهؤلاء علينا، ومشكلات داخلية علينا، ورؤيا يقصها عليك أبو محمد من الجليل تذهب عنك هذه الهموم. قال: رأيتك يا أبا طير في المنام، في ثياب بيض تنافح عن النبي ﷺ وهو من خلفك جالس على الحائط. فقلت الحمد لله، هذا معنى ما نحن فيه من صراع فكري. نعم إن هذا يريح الأعصاب.

وما بين 1978-1980 كانت فترة غنية ونقله ممتازة، على صعيد وعينا الحركي، وفترة حيوية في مجال طلب العلم، ولنا أسراً على صعيد التربية، ومحاضرات. وكان الكتاب خير جليس لمن هو في السجن على الخصوص، وكما يقال: الزمن كالسيف، إن لم تقطعه قطعك، والهامشية في حياة الإنسان ضياع. كان الكتاب خير جليس، وقيام الليل خير أنيس، ولنا حديث مع الليل إن شاء الله. وكانت الأمية شائعة بين السجناء، ليس على صعيد القراءة والكتابة فحسب، ولكن كانت في أبسط أمور الدين، وقد ورد في الأثر: ”يا ابن عمر، دينك، دينك إنما هو لحمك ودمك، فانظر عمن تأخذ، خذ الدين عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا“.

هذه هي أيام السجن، أخذ وعطاء ومجاهدة على قدر أهل العزائم، والرياضة كانت شيئاً أساساً في حياتنا، لنا من النهار ساعة فقط، فيها نركض ونلعب الحبل ونمارس التمارين اليدوية.

<sup>35</sup> القرآن الكريم، سورة الأنفال، آية 26.

وفي سجن الرملة، حضر إلينا أخ فاضل من تنظيم القيادة العامة، لكنه كان على فهم في دينه، وكان ملتزماً بالصلاة والقيام والصيام، وأخلاقه طيبة، واسمه يوسف العجوري (أبو نضال). وقد خرج العجوري من السجن في عملية تبادل أسرى، بين القيادة العامة ودولة الاحتلال. ففي حرب 1978، والتي تسمى عملية الليطاني، استطاعت القيادة العامة أسر جندي إسرائيلي، وبعد مفاوضات خرج مقابل هذا الجندي من سجون الاحتلال ما يقرب من 90 مناضلاً فلسطينياً، معظمهم من القيادة العامة. ولم يبقَ من القيادة العامة داخل السجون إلا مناضل واحد، اسمه إسماعيل الدبج تمرد على أحمد جبريل، ولكنه نال حظه فيما بعد في عملية تبادل 1985، بعدما رجع إلى القيادة العامة. ومن الذين أفرج عنهم الإخوة من الجماعة الإسلامية في عسقلان حافظ الدلقموني، وكان أميراً لجماعة عسقلان، وقاسم محمد دربل، وآخرون لا أعرفهم، جرى ذلك سنة 1979، وللقيادة العامة حظها الوافر في أسر الجنود وعمليات التبادل.

### أبو علي شاهين:

حدثني الأخ سعيد قاسم، وهو ممن أحببتهم كثيراً، وقد خرج معنا في تبادل 1985، عن مشكلة حدثت في سجن عسقلان، حصلت مشكلة مع الأخ (أبو صلاح) يوسف جاد الله، وهو من كوادر فتح ومن الصف الأول لجيل التأسيس مع الأخ أبي إياد صلاح خلف، رحمه الله، أبو صلاح هذا تعرض للأذى من شاب في الجبهة الشعبية. فصمم أبو علي شاهين على الانتقام من الجبهة الشعبية، فأوعز لعمال المطبخ من شباب فتح، أن يكثروا من الطعام في وجبة الغداء، وخاصة الأرز، لغرف الجبهة الشعبية ولشبابها الذين تجمعهم مع فتح بعض الغرف، حتى تثقل رؤوسهم من كثرة الطعام، فيسهل على المنتقمين تنفيذ ماخططوا ودبروا له، انتقاماً لأبي صلاح يوسف جاد الله، والذي أصبح من جماعتنا فيما بعد. ولما حانت ساعة الصفر، وقت قيلولة الظهر، قام شبان من فتح على شبان من الجبهة الشعبية وأوجعوهم ضرباً، ووضعوا رؤوس بعضهم في دورة المياه، مثل محمد قنديل (أبو الأسد)، وعلموا على وجوه بعضهم بحديدة أو شفرة، وطعنوا ربحي حداد من نابلس، من قيادات الجبهة بسكين في رقبته. وتأزم الوضع بين التنظيمين، وألقى بظلاله على باقي السجن، وإدارة السجن تطرب لمثل هذه المشكلات، وأصبح الوضع في الغرف لا يطاق، وفي الساحة أكثر من ذلك؛ لأنها موضع احتكاك، وكذلك في مرافق العمل... وفي كل لحظة كان من الممكن أن تحدث كارثة أو مذبحة، وأي احتكاك يفجر الوضع؛ لأن أعصاب الجميع كانت مشدودة ومتوترة.

وتمضي الأيام سراعاً، ولا يلوح في الأفق أيّ حلّ لهذه المشكلة، رأت فتح كما أراد أبو علي شاهين أنها ردت اعتبارها، ورأت الجبهة فيما جرى لها أنه لا بدّ من الثأر، فكيف الخروج من هذه الحالة؟

اجتمع أربعة شبان ممن كانوا في غرفة واحدة، اثنان من فتح وهما صبحي البابا من لحول، وماجد قاسم من قلقيلية، والآخران من الجبهة الشعبية هما عاصم حسونة وحسن شاهين، اجتمعوا بهدف إنهاء هذه الحالة، واتفقوا على ضرب ضابط عدد السجن<sup>36</sup> واسمه توليدانو، ووقع الاختيار عليه لأنه أسوأ مَنْ في السجن، وبذلك تنتقل المعركة مع إدارة السجن. وتمّ الاتفاق دون علم أي من التنظيمات، ولما كان عدد الظهيرة ودخل توليدانو غرفة الشبان الأربعة، أمسكوا به وأوجعوه ضرباً. ثمّ علا صوت صفارة الإنذار، واستنفرت إدارة السجن وقامت القيامة، وبدأت الحرب وهجمت الإدارة بقضها وقضيضها، وأخرجت كل مَنْ في الغرفة إلى ساحة السجن، التي تتوسطه، وانهاالت على الجميع ضرباً بالعصي والهروات والكرابيج، بعد أن أمرتهم جميعاً بالتعري... كما ولدتهم أمهاتهم؟ وصلت الرسالة للجميع، فلا بدّ من وقفة مع الذات؛ لأنّ العدو لم يوفر أحداً، ولا بدّ من التفاهم، ولا بدّ من الجلوس للخروج من هذه الإشكالية. ولما جلس المسؤولون من جميع الفصائل وتجاوزوا هذه المصيبة، استطاعت الشعبية أن تفرض شروطها على فتح؛ ومن هذه الشروط ألا يحجر على أي عنصر من فتح تبادل الكتب مع الجبهة، وللأفراد الذين يؤمنون بالماركسية من داخل فتح حرية قراءة كتبها. واتفق الطرفان على ألا يخرج أي تنظيم عن إجماع الكل الاعتقالي، ومرفوض على أيّ بيان اعتقالي أن يُروّسَ بالبسملة، وعلى فتح أن تعطي الحرية لأفرادها لمن يرغب في دراسة الماركسية وتبنيها. ثمّ انتقلت العدوى إلى بقية السجون، وبالطبع كان هذا الاتفاق إنجازاً للشعبية، نتيجة تصرف أرعن جرّ المصائب على السجن، ومع الأيام غزا الفكر الماركسي تنظيم فتح، وأصبح على رأسه من ينظر للماركسية.

أما الشبان الأربعة، فكان نصيبهم الترحيل إلى عزل سجن الرملة لسته أشهر أو يزيد، ولما رجعوا إلى السجن استقبلوا استقبال الفاتحين. لكن تكشف مع الأيام أن إدارة

<sup>36</sup> عدد السجن [سفيراه]: عملية تعداد أمني تنفذها إدارة المعتقل على الأسرى بمعدل ثلاث مرات يومياً، وتبدأ عملية التعداد باستعداد الأسرى له واقفين، وفي بعض المعتقلات وهم جالسون وأيديهم ورؤوسهم إلى الخلف. انظر: فهد أبو الحاج، مرجع سابق، ص 65. [المحرر]

السجن أسقطت بعضهم في العمالة تحت عصا الخوف، ودفنوا ضريبة موقفهم هذا على حساب كرامتهم الوطنية، هذا الأمر عايشته بنفسه، وخرج منهم ثلاثة إلى غرف العار... غرف الجواسيس، ولم يكن لهم نصيب في عملية تبادل 1985.

## مرافق العزل والعمالة:

وفي عسقلان كانت مرافق العمل تعج بالثوار، كانت طوابير تخرج إلى مرافق العمل داخل السجن. وكان من الشيوعيين من يقول: من لا يعمل لا يأكل. وكانت إدارة السجن تستغل ضعف السجن، وخاصة في غياب الوعي والثقافة الوطنية، إذ لم يكن الدين حاضراً، وحتى من الذين أتوا إلى الجماعة فيما بعد. كانت تدفع بهم الإدارة لمعرفة أخبارنا، ولا يخلو مجتمع لا يحاولون اختراقه، لكنهم كانوا لا يصبرون على حياتنا، صلاة وصيام اثنين وخميس من كل أسبوع في غير رمضان، قيام ليل، ومن لا يقوم الليل لديه خلل إلا من له عذر من المرض، وحتى المرضى كانوا يقومون الليل ويصومون. الفصائل بمجموعها كانت تعمل في مرافق السجن، كان في السجن محددة، ومخيفة، ومغسلة كبيرة، ومطبخ، وساحات، وعمال نظافة، والذي أضرب عن الطعام لأكثر من 20 يوماً رافضاً للعمل هو الأخ جبر عمار، ونجح في ذلك حتى أصبح العمل اختيارياً.

من خلال هذه المرافق، ومن خلال العيادة، استطاع العدو أن يزرع عملاءه ممن أسقطهم بين المناضلين. حتى إن الطبيب والممرض كانا ممن يعملون على إسقاط المناضلين، وكانت عيادة السجن "ملتقى الأحبّة" من الجواسيس، وتحت غطاء العلاج يذهب من يذهب إلى العيادة، ليقدّم تقريره، فالعيادة غطاء لا شبهة عليه في المراحل الأولى من السجن. لكن الثوار، ومن خلال التحقيقات مع هؤلاء الجواسيس، اكتشفوا فيما بعد أن عيادة السجن وطاقتها هما المصيبة، وهما الغطاء لكل هذا الخراب. حتى عمال المطبخ والمسؤول عنهم، وآخر من يدخل إلى الغرف في السجن، تبين فيما بعد أنه عميل جاسوس، وإليك هذه الحادثة:

إن المسؤول عن عمال المطبخ شخص اسمه يوسف عبد الرزاق اتهمنا بأنه بيننا وبين غرف الجواسيس إشارات، هذا المخلوق افتري علينا: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾<sup>37</sup>. وما طالت الأيام، وإذا بحملة تنقلات تقوم بها إدارة السجن إلى سجون أخرى، معظمها

<sup>37</sup> القرآن الكريم، سورة طه، آية 61.

من صفوف التنظيمات؛ لأن التحقيقات مع شبكات العملاء نجحت في القضاء على هذه الظاهرة، ولو بالحد الأدنى، وأصبح داخل السجن حرب على العملاء، بعد أن قويت شوكة التنظيمات، وفرضت هيبتها بعد أن غابت طويلاً، بسبب العمل في مرافق السجن، وتوقف العمل تماماً، إلا من المطبخ والمغسلة، لأنهما ضروريان للسجناء، وهذا الحد من كشف العملاء أزعج الإدارة، فقامت على نقل قيادات التنظيمات ليتقدم وجهاء آخرون إلى واجهة العمل، وكان ممن تقدم يوسف عبد الرازق، الذي قَدَفْنَا وافترى علينا زوراً وبهتاناً. قالت إدارة السجن هذا أبو السعيد وهي كنية يوسف عبد الرازق... لا نريده... عاملاً في المطبخ... هذا يقود التطرف ضدنا، ونصبت الإدارة من حوله هالة، ورفعت أسهمه، لكن الله كان له بالمرصاد، كان في غرفة 9 قسم (ب)، وفي الغرفة الأخ طالب غيث من الخليل، يوسف هذا تسلّم منصباً في التنظيم، بعد ثقة التنظيم به في المطبخ؛ لأنه لا يخرج للعمل إلا مَنْ هو موثوق به، وعنصر رصد وأمن، وهذا أبو السعيد العين الساهرة.

وتصدر يوسف هذا لكتابة بيانات التنظيم، بعد أن رحلت إدارة السجن قيادات الصف الأول من التنظيم. وفي ساعة قريبة من الغروب كتب رسالة —والرسالة تقرير لإدارة السجن— ودخل بها على دورة مياه الغرفة، وألقى بها إلى ”المردوان“ خارج الغرفة ليأخذها السجان، ورجع إلى سريره كالمعتاد، والأخ طالب غيث يروح في الغرفة ذهاباً وإياباً، وإذا بالسجان، ويقال له بالعبرية ”سُهير“، يقول للأخ طالب غيث لماذا ترمون علي بزبالتمكم؟ فأنكر طالب ذلك متعجباً!... فقال له السجان: هاك هذه الورقة. وإذا بالورقة تقرير الجاسوس يوسف عبد الرازق أبو السعيد، وأسقط في يده لما وقعت الورقة في يد طالب غيث. وأدرك السجان خطأه وغباءه وأخبر الإدارة بالأمر، بعد أن ارتعد الجاسوس أبو السعيد، وجاءت الإدارة على عجل، وفتحت باب الغرفة وأخرجت جاسوسها أبا السعيد.

كان أبو السعيد من فتح، أما الجبهة الشعبية، فكانت حربها الفكرية علينا قاسية، وكان عندها مُنظَّر يُقال له ”سوسولوف“، نسبة إلى ميخائيل سوسولوف Mikhail Suslov المنظر العقائدي للماركسية في روسيا، وأما مناضل الجبهة، فاسمه الحقيقي عطية سواركة. عطية هذا لا تعجبه الكتابة إلا في الساحة أمام الناس، قاعداً على الأرض، واضعاً رجلاً على رجل، وجاعلاً من قدمه العليا، وسادة لدفتره يكتب عليها بالطبع، زيادة في الغرور، وإذا بنا بعد حين نسمعهم، ونحن في غرفنا يقولون: ”عطية خرج إلى



الزنازين، عطية هرب“ وإذا بالمنظر جاسوس كبير، ”مقرن“ كما يقولون، أي أن له قرناً، إشارة إلى أنه جاسوس، والله أعلم بالمستور.

وفي سجن عسقلان، وأنا أخطب الجمعة في الساحة استشاط مدير السجن غضباً، ودخل الساحة بحاشيته، يريد أن يُسكتني ويأخذني إلى الزنازين، فوقف له الأخ أحمد مهنا ومن في الساحة من المصلين وقالوا له: وين؟ إلى أين أنت ذاهب؟ ورجع المدير مكسوراً مهزوماً. وذهبت إلى الزنازين بعد ذلك لأكثر من شهر، بسبب خطبة الجمعة. وبعد أن رجعت من الزنازين بأسبوع، إذا بقائد المخابرات الإسرائيلي المسؤول عن قريتي (صور باهر وأم طوبا) من الشاباك، يأتي لزيارتي، ويروا دني على العمالة من تعاسته. فقلت له: بعدما شاب تريده عميلاً، وقدموا لي شايّاً بالنعناع، فلم أشرب، فقال لي اشرب الشاي، فقلت له: لا أريد، قال: تظن فيه سُم، قلت لا، ولكن لا أشربه معك. ولسنين طويلة لم أشرب الشاي، لا بالنعناع ولا بالميرمية، وكانت فرصة ثمينة، ولكنني لم أفعل، وقدم لي مغريات، منها أن أخرج من السجن بثلاث المدة، أي ما يقال له عندهم: ”شليش“<sup>38</sup>. فقلت يا هذا: عنوانك غلط، فقال لي: ولماذا كنت في الزنازين؟ قلت له، لا يعينك. قال: أنت قلبك أسود، قلت: أنت صغير، وهل أنت على استعداد أن تخون زوجتك وأهلك وقومك؟ قال: لا، فقلت له: فكيف بك تريدني أن أخون الله، والرسول، وأن أخون ديني وأهلي ووطني؟ يا هذا ارحل، ومرة أخرى عنوانك غلط. فنادى على السجنان وانصرف من عنده، وأنا على يقين، أن قلبه وقومه جميعاً أصحاب قلوب حاقدة سوداء، وأنه على ملة قوم لا يوقرون الله.

### عملية عنتيبي: ما شاء الله كان:

قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بزعامة جورج حبش، سنة 1976 بخطف طائرة تعمل على الخطوط الفرنسية<sup>39</sup>، وجميع من عليها من الركاب كانوا من الصهاينة. نجح الحاج فايز جابر ورفاقه من الجبهة في السيطرة على الطائرة، وكان وديع حداد هو العقل المدبر لتلك العملية. وبعد السيطرة على الطائرة ومن فيها وبأوامر الرفاق،

<sup>38</sup> محكمة الشليش: محكمة تعقد للأسير بعد قضاؤه ثلثي مدة حكمه للنظر في الإفراج عنه أو تخفيض محكوميته، إلا أن محاكم الاحتلال نادراً ما تفرج عن أسير من خلالها. انظر: فهد أبو الحاج، مرجع سابق، ص 65. [المحرر]

<sup>39</sup> عن حيثيات عملية عنتيبي انظر: بسام أبو شريف، وديع نائر أم إرهابي (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2014)، ص 217-226.

توجهت الطائرة إلى الجزائر، وبعد ذلك توجهت في محطتها الأخيرة إلى أوغندا، ورئيسها يوم ذاك عيدي أمين، وفي مطار عنتببي حطت الطائرة رحالها. كنا في سجن الرملة نتابع، والعملية في حسابات البشر ناجحة 100%، والأسرى على أعصابهم ينتظرون النهاية المرجوة، حتى تخرج هذه الجموع من سجونها. ملأت البهجة نفوس الأسرى، وتفاعلوا مع الحدث وأنا منهم، واسمي ذكر من بين المطلوبين للإفراج، والأعصاب مشدودة، وبينما أنا واقف أمام غرفتنا في ساحة القسم، وإلى جانبي رفيق من الشعبية... من حملة الفكر الماركسي، والحديث بيننا يدور حول العملية ونجاحها... وعلى هذا المستوى من النجاح... فقلت له، والله يشهد: إن العملية ناجحة إن شاء الله، فما كان جوابه إلا أن قال: شاء أو ما شاء ناجحة، فوالله ثمّ والله، كان أول خاطر انتابني بعد ججوده هذا وصلفه أن العملية ستفشل، وأن من تحدى مشيئة الله لا يستحق هذا النصر. وما هي إلا ساعات، وإذا بجنود دولة الاحتلال يسيطرون على الطائرة، بعد أن نجحوا في قتل الفدائيين الخاطفين، في عملية مشهود لها بالتخطيط والنجاح، في مقابل عدو له مكانته في المكر والدهاء. وبعدها أحبط الأسرى، وناموا على وجوههم.

### زيارة السادات للقدس:

خلال مرحلة المفاصلة، وقبل الاعتداء علينا، ونحن نتابع أخبار العالم من خلال راديو السجن، وتلفزيون أبيض وأسود لدى الجنائين، ومن خلال إذاعة العدو فقط، ولما عزم السادات وحمل حاله وبطانته على زيارة إلى القدس المحتلة، يريد الصلح مع دولة الاحتلال، كتبت بالطباشير على لوح في غرفة الأكل، ما قاله سيد قطب رحمه الله، في كتابه "معركة الإسلام والرأسمالية" قال: لا سلام لعالم لا يتمتع فيه ضمير الفرد بالسلام، وكتبت: لا سلام على حساب قضيتنا، ولا سلام على حساب شعبنا، ولن يكون لمن احتل أرضنا أمان... أبداً. والذي دعاني لهذا هو أن التنظيمات اتهمتنا زوراً وبهتاناً بأننا مع رحلة السادات إلى القدس، فجاءني رفيق من الجبهة الشعبية اسمه علي جدة من القدس، من الجالية الإفريقية، وقال لي: هذا موقفنا نحن في الجبهة الشعبية. ومن ردود الفعل على زيارة السادات للقدس، قال الرئيس عرفات، رحمه الله، معلقاً: القدس لا يدخلها إلا الشرفاء، القدس لا يدخلها إلا عمر بن الخطاب، وصلاح الدين الأيوبي، والشيخ أبو طير، والمطران كابوتشي.

وتعليقاً على زيارة الرئيس السادات للقدس، وحتى لا تكون بلا اعتبار روحي حسب ظنه، وحتى تكون على كمالها وتمامها، فقد جعل من زيارة المسجد الأقصى المبارك، والبلدة القديمة، متكاً لهذه الرحلة. وصلى صلاة العيد —عيد الأضحى— في المسجد الأقصى المبارك، وبصحبه المقرئ الشيخ مصطفى إسماعيل، ضمن وفد رفيع المستوى، حجّزوا لهم جميعاً الصفّ الأول من المسجد. ولقد أرادوا للحاج راضي السلايمة<sup>40</sup> أن يتخلّى عن موقعه في الصفّ الأول، وهو الذي ما برحهُ حتى لقي الله تعالى، والذي كان يرتاده يوماً قبل صلاة الصبح بساعة تقريباً، رحمه الله، فجلس إلى جانب الرئيس السادات، وذكره بنفسه، لكنّ السادات تنكّر لهذه المعرفة.

يقول الحاج راضي، رحمه الله: قلت له، يا سيادة الرئيس ألا تعرفني؟ فأجاب السادات لا، لا أعرفك. فقال الحاج راضي: أنا راضي علي السلايمة، ألا تذكرني؟ فأجاب السادات: لا. فقال الحاج: أنا مَنْ كنتُ أبعثُ المعاش إلى عائلتك، يوم أن كنت سجيناً. لكنّ السادات لا يريد أن يتعرف على الحاج راضي، ولا على ماضيه يوم أن كان مسؤولاً مالياً في جماعة الإخوان في مصر، كما سمعت، وهو الذي له بيعة مع الشهيد حسن البنا، رضي الله عنه.

## فضل الكويت:

وكان لدولة الكويت، ممثلة بأميرها، موقف معنوي ساندتني به وأنا في السجن، وأشكرها على ذلك، وأكبرُ دعمها للقضية الفلسطينية، حيث أصدرت باسمي وصورتي طابعاً بريدياً بصحبة المطران كابوتشي، والأخت فاطمة برناوي<sup>41</sup>. وأنا أذكر للكويت فضلها لأنها لم تقصّر بحق القضية الفلسطينية، ويوم أن غزا صدام

<sup>40</sup> راضي علي السلايمة (1904-1996): ولد في القدس، وهو أحد أبرز وجوه الإخوان المسلمين في القدس. عاش في مصر وعمل في التجارة، ونشط في جماعة الإخوان المسلمين في مصر، وكان عضواً في أسرة ضمت عدد من قيادات الإخوان في القاهرة؛ أمثال الشهيد محمد يوسف هوش، والدكتور أحمد الملط. وكان منزله في الروضة مستقراً لاجتماعات الأخوات المسلمات. وتشير بعض الروايات إلى أنه كان مسؤول صندوق الدعوة في أثناء وجوده في القاهرة التي غادرها بعد بدء الصراع بين الإخوان المسلمين وجمال عبد الناصر سنة 1954. عمل في صفوف الإخوان المسلمين في الأردن فكان أبرز قيادات الإخوان في الضفة الغربية، واستلم إدارة مطابع الإخوان المسلمين. كان أحد الوجوه التي أسهمت في الربط بين الإخوان في قطاع غزة والضفة الغربية بعد سنة 1967. توفي في القدس.

<sup>41</sup> صدر هذا الطابع البريدي في 1977/7/1، ضمن فئتين 30 فلساً، و50 فلساً، معنوناً بـ”نكافح لتحرير فلسطين وإحلال السلام“. انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (2)، ص 494.

الكويت، أنكرت ذلك من على منبر مسجد صور باهر، وبعد الخطبة بيوم دخلت السجن لستة أشهر إدارياً خلال سنتي 1990-1991.

## مذبحة حماة وحلبجة:

منذ أن تسلّم حزب البعث الحكم في سورية والعراق، والذي هو صفحة سوداء في تاريخ هذه الأمة، لم يأت عليهما إلا بالويل والمصائب والهزائم، فبعد أن تسلّم الحكم في سورية سلّم الجولان، وأعلن عن سقوط القنيطرة قبل أن تسقط بثماني عشرة ساعة، وتفرد في الحكم وجعل البعث دين الدولة. وفي العراق كذلك بكل ما فيه من خيرات وثروات وبتترول، فشعب العراق لا يزال من الشعوب الفقيرة، ومخيمات اللاجئين هنا في فلسطين، أحسن حالاً من بعض الأحياء في بغداد العاصمة. والذي ينظر إلى حال الأكراد في العراق وفي سورية وإيران، يتوجع لأحفاد صلاح الدين الأيوبي أن ينكل بهم، وأن يعيشوا شظف العيش في بيوت هي ”زرائب للدواب“، في ظلّ حكم البعثيين، سوى ما يتعرضون له من القتل والذبح والتنكيل والتعذيب.

وفي ظلّ حزب البعث، الذي نادى بشعارات القومية العربية، ”أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة“، و”وحدة حرية اشتراكية“، ترعرت الطائفية، وتمزقت الأمة العربية شراً ممزق. فالبعث حاكم في سورية والعراق، والحرب بين البلدين ضرور، والمؤامرات بين النظامين على قدم وساق. والرسالة الخالدة هي الموت والإعدامات والتغيبات، لكل من خالف النظام في القطرين... فحدثت مثلاً مذبحة حلبجة في العراق ومذبحة حماة في سورية...

فأين كانت كل هذه القوة، وكل هذا الجبروت، يوم أن احتلت ”إسرائيل“ الجولان؟

## اجتياح بيروت وصفقة نابلس:

ونعود ثانية إلى سنة 1982 حيث كانت الحرب في الجنوب اللبناني على أشدها، وقلعة شقيف بمن فيها من الرجال الصناديد، ضربوا أروع الأمثلة في البطولة والثبات، والجنوب قاتل، إلا حفنة آثرت الفرار، فقائد منطقة الجنوب كما أشيع، وبما كان معه من ميزانية الجنوب، هرب إلى بيروت بحجة ترحيل عياله ثم العودة... وأتى له أن يعود؟ فهذا اجتياح لجيش إسرائيلي جرار، بجميع أسلحته ومعداته لاقتلاع الثورة الفلسطينية

من الجنوب ومن لبنان كله. واستبسلت المقاومة، لكن الجيش الإسرائيلي المحتل زحف حتى وصلت دباباته بيروت، ودخلها من أطرافها. وفي أثناء الحرب سقطت طائرة للإسرائيليين، ووقع طيارها أسيراً بيد المقاومة، وفرح الأسرى، وفرحت هذه الجموع؛ لأن فرصتها في التحرير مضمونة الآن، طيار إسرائيلي في الأسر عند الثورة، هذا ينظف جميع سجون الاحتلال. ويا فرحة ما تمت؛ لأن من شروط المحتل الإسرائيلي على الثورة، لما خضعت ووافقت على الخروج من بيروت، هو أن يعود الطيار وأربع جثث لجنود إسرائيليين من أيام الليطاني. وتم ذلك، فأحبط الأسرى بعد أن طبلوا للثورة، وقيل إن أوري أفنيري Uri Avnery، رجل السلام الإسرائيلي، التقى عرفات في بيروت، فأطلق عرفات سراح الطيار بادرة حسن نية وهدية لأفنيري.

كان جنرال الحرب في بيروت (أبو الوليد) سعد صايل، ومن حوله هيئة أركان، والفصائل حاضرة كذلك. أما المشهود له في حرب التفخيخ بحزام من الألغام لثغور بيروت فهو أحمد جبريل. وأما سعد فهو من أعترف به قائداً لي في هذه الثورة؛ ليس لأنه استقبلني في بيته بتواضع، أو لأنه استقبل أُمي من بعدي، رحمها الله، ولكن لأنه حرّني بموقعه.

أبو الوليد قتل غداً في البقاع، في كمين نُصب له من عصابة خشيت من حسابه، لأن أبا الوليد قال: لن يفلت من العقاب من تخاذل في معركة الجنوب، أو ترك الجبهة وهرب بعياله. وأنا أقول: لا تقولوا إن سورية لها مصلحة في غياب أبي الوليد، أو قتله ولابنان، إنما هي عصابة الغدر التي ارتعدت من الحساب، وهي معروفة عند كثير من ضباط الثورة الفلسطينية.

وبعد أن تمّ لـ "إسرائيل" ما تريد، ولو إلى حين، وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها، واعتقلت الآلاف من الشعيين اللبناني والفلسطيني خلال هذه الحرب، وزجّت بهم في "معسكر أنصار" في الجنوب اللبناني، وظنّ المحتل مرة أخرى أنه آمن في تلكم الأرض، وإذ بثمانية من جنوده يسقطون في كمين، نصبته لهم مجموعة مقاتلة من حركة فتح إلى الجنوب من بيروت. نجحت هذه المجموعة في أسر الجنود الثمانية، ستة منهم استوعبتهم ناقلة للمجموعة، واثنان استوعبتهم ناقلة أخرى للجبهة الشعبية - القيادة العامة، واحتفظت بهما وفاوضت عليهما مع جندي آخر في صفقة سنة 1985.

فاوضت حركة فتح والرئيس أبو عمار "إسرائيل" على الجنود الستة، وتمت صفقة تبادل سنة 1983 بإطلاق سراح من في معسكر أنصار و100 من المعتقلين في سجون الاحتلال في فلسطين. وليت الأمر انتهى عند ذلك، فهذا هي البحرية الإسرائيلية، تعترض قارباً في طريقه إلى طرابلس من قبرص، فيه 37 ضابطاً من فتح، استُبدلوا بـ 37 من 100، فلم يخرج في تكلم الصفقة من سجون الاحتلال إلا 63 مناضلاً، أغلبهم من نابلس، وسميت صفقة نابلس، لأن أبا جهاد العالول، كان من ورائها أو هو صاحب ملفها، مع العلم أن من في معسكر أنصار، تم الاتفاق على خروجهم مع فيليب حبيب، الذيفاوض قيادة منظمة التحرير على الخروج من بيروت من قبل الخارجية الأمريكية، ضمن اتفاق الخروج من بيروت.

هنا "كفر الثوار بالثورة"، وقد عقدوا الأمل على هذه الصفقة، وكان لَأسر الجنود في نفوس المعتقلين الفرح العظيم والأمل الكبير، ولأول مرة خرج من يسب عرفات. وحل بهم الإحباط، والأمر أكبر من أن يقال فيه؛ لأن حال الأسرى مؤلمة، وإن كنا نختلف معهم، لكن هذه حالة إنسانية، نعم إنها حال مؤلمة وموجعة. وبالرغم من هذه العاطفة نحوهم، فإنهم كانوا في رسائلهم التي بلغت المئات لأبي جهاد الوزير، رحمه الله، يطلبون منه أن لا يكون لنا نحن أبناء الجماعات الإسلامية في السجون أي نصيب مع أي صفقة تبادل؛ لأننا كما يقولون: "منفلشون" وخارجون على الثورة الفلسطينية، وإفراز غير شرعي، ولكن ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>42</sup>. فلم تنفعهم رسائلهم، ولا هم خرجوا من السجن. أما نحن، فكانت عندنا تطمينات من الأخ حافظ الدلقموني أننا على طريق التحرير إن شاء الله. ومثل هذا الخبر يشاع في السجن كالنار في الهشيم، وبدأ الثوار يعتقدون الأمل على ما تبقى على أحمد جبريل، الذي أسأوا إليه قبل الإفراج عنهم، وبعد الإفراج للأسف، وعضوا اليد التي امتدت لنجدهم، بل تناولوا عليه. عجيبة تربية هؤلاء!!

## الليل خير أنيس:

قبل الرحيل إلى بئر السبع قلت إن الليل خير أنيس، كما أن الكتاب خير جليس، وهذا صحيح. وفي الحديث عن نبينا محمد ﷺ، والذي له صلة بالذي يجول في صدري،

<sup>42</sup> القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية 54.

”عينان لا تمسهما النارُ عينٌ بكت من خشيةِ الله، وعينٌ باتت تحرسُ في سبيلِ الله“<sup>43</sup>. وأحسب أنني عشت حالتي العينين. لكن في الأمر استدراك يعود إلى ما قبل السجن، فقبل أن أعرف السجن كانت معاني الليل على صعيد العبادة باهتة في نفوسنا، وكان هناك شيء غالبٌ على أسلوبنا في الحياة، فتوة وميعة شباب، والأمر مقصور على الصلوات الخمس، وفلسفة الصيام في رمضان غائبة، إلى أن دخلنا السجن، ودخلت النوافل على حياتنا، وبدأت الفطرة تستجيب لنداء الروح. وطفى اللجوء إلى الله على كل شيء، وأخذنا عن الحاج ناجي أبو نجمة، رحمه الله، وعن الأخ محمود عميرة، وعن الحاج سلمان القواسمي صلاة الضحى، وقيام الليل، وقراءة سورة الكهف كل يوم جمعة. وكنت على خطيئة من أمري في التدخين، كنت مدخناً، وأشتري التماكب العجمي من الرمثا للأرجيلة في بيروت، لكن لما فاصلت الجاهلية التنظيمية في سجن الرملة، وأقبلت على كتاب الله دراسة وحفظاً... قررت قراراً حاسماً بلا تردد ألا وهو العزوف عن التدخين ما حييت، وقلت: لن يجتمع في صدري خبيث وطيب، إما القرآن وإما الدخان. والحمد لله، منذ ذلك اليوم من سنة 1976 وإلى يومنا هذا ذهب الدخان بلا رجعة.

وتم لي من فضل الله حفظ القرآن سنة 1983، في عزل بئر السبع. وأخذ مني هذه المساحة من الوقت لكثرة قراءاتي، والقيام على إخواني من عمل تنظيمي وتعليمي. وأذكر أنه لما وقع بين يدي كتاب ”الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ“، للأخ محمود عبد الحليم، ما كنت أغيب عنه إلا للصلاة المكتوبة، أو لوجبة طعام، ومن الصباح حتى الساعة الواحدة من الليل، وأنا معه. وإذا ما أعجبني كتاب فالجلد في القراءة طبعٌ من طباعي، ويُرفع الأذان لصلاة الصبح وأنا مع الكتاب. وعلى سبيل المثال، قصة اسمها نذب السهول، عن جنكيز خان Genghis Khan، أتممت قراءتها في ثلاثة أيام، وهي تحتاج عند قارئٍ آخر أسبوعين أو ثلاثة.

أعود إلى أنس الليل، وإلى ”عينان لا تمسهما النار“، وأحسب أنني عشتها بكل جارحة من جوارحي، وبكل ما بداخل جوانحي، ومتى استجاب الجوارح للجوانح، في العبادات على الخصوص، كان الانسجام على تمامه، وما من وتر من أوتار النفس البشرية، إلا وله إيقاع بأية من كتاب الله.

<sup>43</sup> لنص الحديث وتخريجه انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الحديث رقم 2673. [المحرر].

عشت حالتي العيين، ولا أزكي نفسي على الله، حالة العين الجاحدة وهي تُقبل على الله بانكسار تنشد التوبة، وهي في الطريق إلى الخروج من هذا الجحود، بدمعة تطفئ خيانة العين، فتخشع القلوب وتسكن الجوارح. ولقد أخذ الليل مني نصيبه، وأخذت منه ذخيرة العمر، وزاد الطريق، وعشت خلوته بما يبده ظلامه، ويخفف من تطاول وحشته، بالوقوف بين يدي الله، أناجيه بالذي يحب، آيات التنزيل وما حوى، عشت حالة الفيض بالانقطاع عما سوى الله. وعشت زلفاً من الليل فيها الأنس أكثر من حاجة الموج إلى شاطئه، مطمئناً تتفتح لي الأبواب، والسكينة تملأ نفسي. كنت أتلذذ بالعين وهي تجود بدمعة، بل بدمعات تسيل على وجنتي وهي في الحقيقة، وفي الشعور، تغسل الذي بين جنبي. إنها دمعة هي في الميزان عند الله، لا يعدها ما في الأرض من بحار وأنهار. نعم... عشت الليل مع الله، وعاشه إخواني... لكن بقدر حبي للجود والكرم، وكراهي للبخل، فإن قيام الليل عندي به أنانية، وأعترف بأنانيتي في حبي لقيام الليل؛ لأنني أكره التشويش، وأحب لإخواني أن يقوموا وأن يلجأوا إلى الله، لكن من الصعب أن تجمع بين الأمرين.

كنت أقوم الليل لساعات طويلة، وأصلي الصبح بالوضوء نفسه، بل ربما الضحى. ونُقبل على المأثورات، ولكل منا ورده، فنحن ليلنا مع الله، وغيرنا ليله مع أم كلثوم في "هل رأى الحب سكارى؟"، وما أكثر السكارى وإن فاتهم الشراب!!

عشت الليل بجميع فصوله، وكنت أستشعر الدفء مع شدة البرد، وأستروح بالظلال الندية مع حرارة القيظ، والله هو الشاهد... أنه لا الجاه، ولا السلطان... ولا المال... ولا متعة النساء، تعادل تلك اللحظات وغناها. فكل ذلك المتاع ذهب في حينه، أما متعة الليل، من خلال الدموع، فالبحر من بعده أبحر، والدهر من بعده دهور... لا يذهبان متعته، ولا يستنزفان طاقته. إنها لحظات السعادة والهناء التي أدعو الله سبحانه، صباح مساء، أن تعود لتطلق روعي من جديد، في جنات الخلد وهيئات أن تعود!! وإن عادت فلا أظنها تعود بسيرتها الأولى، ولا أظنها تعود بالحال التي حلقت بها الروح في حينها.

وكم من لحظات كريمة عشتها مع آيات عظيمة؟ وهي من حين إلى حين تتردد بإيقاعات جديدة، وبجرس جديد؟ وتأخذ مني مساحة كالموج، وألقي بالملامة على ما فات، وعلى من ضاق ذرعاً بالذي جاءت به الآيات من إعجاز، وما تحمله من تحديات.



وأقرأ على نفسي، وعلى الناس: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾<sup>44</sup>؟! وهذه الآية بعظمة السؤال، وما فيه من استنكار، تلجم كل من له خيال، أو عافاه الله من الجاهلية فتمرد عليها. أولم يكفهم أننا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم؟ وبلا توقف فالنفس البشرية مهما أُوتيت من أسباب القوة، ومهما جُبلت على التمرد، فالإسلام روضها، حتى قال الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادَةَ: ”والله لولا الإسلام لمكرت مكرًا لا تطيقه العرب“. وأنا والله أقولها، والله لولا الإسلام هذب أخلاقنا، لتمررنا على الأرض جميعاً، فما بالكم في قوم خرجوا على التنظيمات وفصائل المنظمة، وهي في قمة سطوتها و”الإرهاب الثوري“ قانونها. بل إن حملة التشهير ضدنا، ورَمِينًا بالجاسوسية، يُحطم أي نفسية مهما كانت قوتها. وكم من نفوس خانها الصبر على مثل هذه الأساليب... فكان مصيرها الانكسار. ما حديث الناس لولا هذا القرآن؟ وما تاريخهم؟ وما الذي يضبط سلوكهم؟ أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات شافية، أولم يكفهم؟ فالؤمن يقف مع خالقه، من خلال أدب الذات، ويللم نفسه حياءً من الله، ويعجب من سوء الأدب، ومن الذوق الباهت الذي تردت إليه طباع البشر وأخلاقهم.

### العين الساهرة اليوم:

هذا ما عشته من خلال أنس الليل، أما الحالة الأخرى، فهي العين الساهرة على الثغور، تخاف أن يؤتى من قبلها؛ ”وعين باتت تحرس في سبيل الله“. وهذه حالة لا تقبل أن يؤتى من قبلها، وترفض أن تبرح ثغرها خشية من الله، لئلا يباغتها عدو. فهي تتمترس لأمةٍ متمترست بها، وترى فيها الطليعة، وهي تعيش جبهة الاحتكاك الساخن مع العدو الذي احتل الأرض وشرد الأهل، وحاصر مقدساتنا وانتَهك رمزياتها.

إنَّ مَنْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وما حوله من المرابطين، هم مَنْ أطفأوا النيران التي التهمت منبر صلاح الدين، والمسجد لما أقدم الصهاينة على حرقه. وأهل القدس هم الذين يكثرون عندما يتعرض الأقصى لاعتداءات الصهاينة، فكم من مجزرة ارتكبها جنود الاحتلال وشرطته داخل المسجد الأقصى؟ ودماء شهداء من حين إلى حين، تقف بالمرصاد لمخططاته، وتفسد عليه اعتداءاته؟

<sup>44</sup>القرآن الكريم، سورة العنكبوت، آية 51.

إنَّ أهل القدس، والمؤامرة عليهم كبيرة، هم مَنْ يحفظون للأمة ما تبقى من القدس، ويحافظون على وجودهم، على الرغم من التضيق والتسلط ومحاربتهم في أرزاقهم، والضرائب التي ليس لها مثيلٌ في العالم. هذه هي العين الساهرة على المسجد الأقصى، والتي لا تتأخر إذا حزب الناس أمر مثل الأقصى، وما في القدس الشرقية من جنود الاحتلال وشرطته ومخابرات، أكثر مما هو موجود في القدس الغربية وحيفا وتل الربيع، كل ذلك لإرهاق المقدسيين، وحتى يحولوا بينهم وبين الأقصى.

لقد عشقت القدس وعيني لا تفارقها، وهي التي في النهاية ستنتصر على المارقين، وبالرغم من السطوة الجاثمة على المدينة، فستبقى عصية على الاحتلال وسياساته. وأبناءؤها ملأوا السجون، وهم مَنْ أوجعوا الاحتلال من خلال ضرباتهم. وإن الحق الذي تحمله آيات الإسراء في طياتها وإيحاءاتها... هي الشاحن لكل حركة من حركاتنا التي تقض مضجع الاحتلال. فبإمكاناتنا البسيطة، وعمق جذورنا التي تعود إلى بناء المسجد على عهد آدم عليه السلام فإن الخوف لا ينتهي عند عدونا، في الوقت الذي أستشعر فيه الأمن على الرغم من القيود. ولقد علمت بطانة العجل، أن محمداً صلى الله عليه وسلم والخميس العرمم غابا عن الساحة في حروبها مع أنظمة الردة، لذا لم يقاتلوا جيوشاً بسيرتها الأولى بقعقة القعقاع، وبجندية ابن الوليد، التي كانت تغلب ولا تغلب، ومدرسة المثني ابن حارثة الشيباني، التي دوخت الأكاسرة، عندها يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين: فيا هؤلاء سائلوا التاريخ عنا كما قال الشاعر:

سائل العلياء عنا والزمانا  
هل خفرنا نمة مذ عرفانا  
المروءات التي عاشت بنا  
لم تزل تجري سعيراً في دمانا  
وقول الآخر:

على اليرموك قف واقراً السلاما  
وكلمه إذا فهم الكلاما  
إلى اليرموك إن تبغوا المعالي  
فوق ضفافه فاجثوا احتراما  
هنا الإسلامُ ضاء له حسام  
غداة استل خالده... الحساما

إنه يوم أن كانت جيوشنا تشكل كتلة عقائدية، تلتقي فيها جنود الأرض مع جند السماء، كان هؤلاء كالجعلان، كما قال فيهم زعيمهم كعب بن أسد القرظي: ما بات رجلٌ منكم منذ ولدته أمه، ليلة واحدة من الدهر حازماً.

إن على القدس أعياناً ساهرة، منهم من رحل إلى ربه ك: الشيخ عبد الحميد السائح، والشيخ حلمي المحتسب، والشيخ سعيد صبري، قاضي القدس الشرعي، وخطيب المسجد الأقصى، والسيد روجي الخطيب، والأستاذ المجاهد المهندس (أبو سليمان) حسن القيق<sup>45</sup>، مدير مدرسة اليتيم العربي، التي تعتلي هضبة مطلة على ما حولها، فأرادها موشيه ديان مقراً للقيادة الوسطى لجيشه، ولكن أستاذنا بصبره وإدارته، وتفعيل المدرسة بعد الحرب مباشرةً، فوّت الفرصة على ديان. وسُجن الأستاذ في الانتفاضة الأولى، وصبر على أذى التحقيق، حتى حملوه إلى مستشفى هداسا عين كارم في القدس الغربية، وسجن لمراتٍ أُخر، وبقي صلباً عنيداً وطوداً شامخاً، وكان رحمه الله، على علم ودراية بأحوال المدينة، وله ذراع في معظم مؤسساتها، وله احترامه من جميع أبناء المدينة مسلمين ومسيحيين. وكذلك الأخ المناضل (أبو العبد) فيصل الحسيني<sup>46</sup>، عمدة القدس، والمدافع عنها حتى لحق بربه رحمه الله، وأبوه من قبله الشهيد عبد القادر الحسيني، قاد "الجهاد المقدس" أيام الاحتلال البريطاني لفلسطين، وهو القائل للجنة إنقاذ فلسطين، هذه لجنة دمار فلسطين، لأنهم خذلوه، وقال لهم يوم الخميس 1948/4/8 أنتم خائنون ومجرمون، وسيُسجل التاريخ أنكم أضعتم فلسطين، وسأحتل القسطل، وسأموت أنا وجميع إخواني المجاهدين....

<sup>45</sup> **حسن سليمان القيق (1940-2006):** ولد في دورا الخليل. تخرج من كلية الهندسة في جامعة بغداد سنة 1966، وعمل في مجال التربية والتعليم ومديراً لمدرسة اليتيم العربي الصناعية حتى وفاته. أسهم في تأسيس عدد من المؤسسات الخيرية والاجتماعية، وشغل عضوية مجلس أمناء جامعة النجاح والجامعة الإسلامية. التحق بجامعة الإخوان المسلمين مبكراً، وشغل عضوية المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة. أبرز مؤسسي حركة المقاومة الإسلامية، واختار كلمة "حماس" اختصاراً لاسمها. أسهم في صياغة الكثير من أدبيات حماس ووثائقها، ولقب بـ "حكيم حماس". اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال. توفي في القدس.

<sup>46</sup> **فيصل عبد القادر الحسيني (1940-2001):** ولد في بغداد منفى والده عبد القادر الحسيني إثر ثورة 1936-1939. أكمل دراسته في القاهرة، واشترك في حركة القوميين العرب سنة 1957. عمل في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في القدس سنة 1966. انضم إلى قوات جيش التحرير الفلسطيني في سورية أوائل 1967. عاد لفلسطين بعد الحرب واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال. أسس بيت الشرق (جمعية الدراسات العربية) سنة 1979. شارك في الوفد الفلسطيني لمؤتمر مدريد Madrid Conference وترأس الوفد الفلسطيني المفاوضات في محادثات واشنطن سنة 1993. عين وزيراً لملف القدس في الحكومة الثانية والثالثة، وشغل عضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير منذ نيسان/أبريل 1996 وحتى وفاته. توفي في الكويت.

سَطَّروا بالدم أخبار الشهيد  
كللوه يا صحابي بالورود  
واحملوا فوق أعناق... عوال  
ما انحنى إلا لخلاق الوجود  
ما انحنت إلا لرب الكون يوماً  
في ركوع أو خشوع أو سجد

ورحم الله الحاج حسين سلهب، الذي مات على بيعته، من أجل أن تحيا دعوته هنا في القدس، وكذلك الحاج رشدي الشويكي والحاج راضي السلايمة، الذين صبروا على غربة الطريق، وهم من قدامى الإخوان المسلمين.

وفي القدس الآن من الوجوه الحاضرة بقوة، والتي ضاق الاحتلال بها ذرعاً، فأقبل على سحب هوياتهم وحكم عليهم بالطرد من القدس؛ لأنهم يعبرون عن رمزية القدس، وهم الإخوة النائب أحمد عطون (أبو مجاهد)، ووزير القدس السابق المهندس خالد أبو عرفة (أبو محمد)<sup>47</sup>، والنائب محمد طوطح (أبو معاذ)<sup>48</sup>، والدكتور الشيخ عكرمة صبري، خطيب المسجد الأقصى المبارك، والشيخ جميل حمامي (أبو حمزة)، الذي أعطى للقدس من عمره وجهاده، وهو الذي قضى في السجن سنين موجعة من أجل هوية القدس.

هذه هي العيون التي ترى بنور الله، والتي أكرمها الله بأن حال بينها وبين النار، من خلال هذا المعيار، دمة عنوانها الخشية، وحراسة في سبيل الله.

<sup>47</sup> خالد إبراهيم أبو عرفة (1961-): مقدسي من مواليد سلوان، متزوج وله خمسة أبناء، وحصل على بكالوريوس الهندسة الميكانيكية من بغداد سنة 1983. نشط في الحركة الإسلامية في القدس مبكراً واعتقل لعدة مرات في سجون الاحتلال بدءاً من سنة 1991. عين وزيراً لشؤون القدس في الحكومة الفلسطينية العاشرة. اعتقل في 2006/6/29 في الحملة التي استهدفت الوزراء والنواب الإسلاميين في الضفة الغربية. في 2006/5/29، سُلّم قراراً بحرمانه من هويته المقدسية، وهو وباقي نواب القدس الإسلاميين. اختطف في قرصنة صهيونية في 2012/1/23 من مقر الصليب الأحمر في القدس بعد اعتصامه ونواب القدس المهديين بالإبعاد، لما يقارب العام والنصف.

<sup>48</sup> محمد عمران طوطح (1968-): ولد في مدينة القدس، وحصل على بكالوريوس إدارة أعمال من قبرص التركية. حصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة القدس سنة 2000. عمل في القطاع الخاص والتجارة، وشغل عضوية مجلس أمناء مؤسسة أقرأ لرعاية القرآن والسنة في القدس. انتخب لعضوية المجلس التشريعي عن مدينة القدس سنة 2006، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال وتقرر إبعاده وحرمانه من هويته المقدسية.

# Sidi 'Umar: The Memoirs of Muhammad Abu Tair About Resistance and His 33 Years in the Israeli Jails

## هذا الكتاب

يسجل هذا الكتاب ذكريات مسيرة طويلة لشيخ مجاهد، وشخصية إسلامية وطنية، برزت في سبعينيات القرن الماضي كأحد رموز المقاومة من أبناء حركة فتح. ثم أصبحت أحد أبرز مؤسسي الجماعة الإسلامية وحركة حماس في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

في هذا الكتاب، يشرح الشيخ محمد أبو طير تجربة 33 عاماً في سجون الاحتلال، ومواقفه ومواقف الحركة الأسيرة من القضايا الوطنية وهموم الأمة المختلفة. ويسجل جزءاً مهماً من تاريخ الأسرى في سجون الاحتلال، وخصوصاً أسرى حماس، وما رافق ذلك من معاناة في السجون ومواجهات مع السجناء. كما يتعرض لعلاقات أسرى حماس بالأسرى من باقي الفصائل الفلسطينية، وما رافق ذلك من حالات تعاون أو شدّ واحتكاك.

وتبرز في هذه الذكريات جوانب من تجارب العمل العسكري المقاوم الذي خاضه أبو طير من خلال فتح، ثم على مدى زمني أوسع من خلال حماس. بالإضافة إلى تجربته في العمل السياسي، وانتخابات المجلس التشريعي للسلطة الفلسطينية.

ويسر مركز الزيتونة طباعة هذا الكتاب الذي يخط شهادة وحكاية الشيخ أبي طير، شيخ بيت المقدس، الذي عُرف بين إخوانه بـ"سيدي عمر"؛ ليكون أحد أهم ما صدر من كتب في تجربة الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

ISBN 978-9953-500-62-1



9 789953 500621



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | فاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

